تفريغ محاضرة

العشر الأواخر

فضائلها وأعمالها

فضيلة الشيخ

عبد الله بن صلفيق الظفيري

حفظه الله

miraath.net

ميراث الأنبياء

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسرُّ مَوْقع مِيرَاثِ الأَنبياءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم تسْجِيلَ المحاضرة بعنوان

العشر الأواخر فضائلها وأعمالها

ألقاها فضيلة الشيخ:

عبد الله بن صلفيق الظفيري

-حفظه الله تعالى-

يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية على إذاعة موقع ميراث الأنبياء نسأل الله- سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع.

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

إخواني، إن لله -عز وجل- الحمد والمنَّة أن شرع لنا عباداتٍ متنوعة تعلو بها حسنات العباد، وتُكفَّر بها سيئاتهم وتعلو بها درجاتهم وتزكو بها نفوسهم وتقوى بها قلوبهم ويزداد بها إيمانهم ويرضى عنهم بها ربهم -سبحانه وتعالى-، ويكونوا محققين لما خلقوا له ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات: ٥٦]، وليشرفوا بتلكم العبادات فإن العبد لا يشرف بجاهٍ أو نسبٍ بقدر ما يشرف ويعلو حاله وتعلو منزلته بالعبودية لله -سبحانه وتعالى-، فكلما زاد العبد خضوعًا لله وعبودية له بإخلاص واتباعٍ؛ زاد شرفُهُ وعلت منزلته عند الله- تعالى- وعند الخلق،

عند الله- تعالى- فيقبل الله منه ويرفع درجته، وعند العباد؛ لأن الله يضع له القبول والرضا؛ ليست هدفًا له وإنما ثمرةٌ وجائزة من رب العالمين،

فأما دليلُ الشرف فإن الله- تعالى- أثنى على نبيه – محمدٍ -ﷺ- في مقامات عدة، مقامات الإعجاز فأثنى على نبيه بوصفه بالعبودية، لم يثنِ عليه برسالة ولم يثنِ عليه بأنه من بني هاشم، وإنما أثنى عليه ربُّ العالمين بأنه عبد، فدل على أن أعظم شرف يناله العبد هو العبودية له - سبحانه وتعالى-،

ودليل ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة: ٢٣، مقام التحدي بالقرآن لكفار قريش، والتحدي لعموم العرب بهذا القرآن العظيم المعجزة، يتحدى الله بها العالم أن يأتوا بمثل القرآن بشيء منه بآية منه، والشاهد أن الله أثنى على نبيه في هذا المقام العظيم بالعبودية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾؛ في شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ فوصفه الله بأنه عبد.

وقال- تعالى- أيضًا في مقام الإسراء معجزة الإسراء والمعراج فقال -عز وجل-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الإسراء: ١ ، فوصفه الله بالعبودية، ولم يصفه بالرسالة ولم يصفه بأنه من بني هاشم وإنما وصفه بالعبودية.

تلكم المعجزة في ليلة واحدة أُسري به من مكة إلى المسجد الأقصى ثم عرج به فمر على السماوات السبع وقابل الأنبياء وكلَّم ربه -عز وجل- هناك، ورأى جبريل على صورته الحقيقية هناك وهي الرؤية الثانية أو الثالثة ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ النجم: ١٣ - ١٤،

وقال -عز وجل- أيضًا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ الفرقان: ١ أي القرآن وسماه الله فرقانًا؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم الله الذي نزل على عبده الفرقان، وقال أيضًا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ النجم: ١٠، فالمقصود أن الله -عز وجل- وصف نبيه في مقامات عدة عظيمة بوصفه بالعبودية التي نال بها الشرف والرفعة -ﷺ-.

وأما العباد، فإن الله– تعالى– يشرف مكانتهم ويعلي منزلتهم ويجعل لهم القبول بتحقيق التوحيد والإخلاص والمتابعة، فيجعل الله لهم القبول، قال –عز وجل–: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ مريم: ٩٦ أي محبة وجاء في الحديث: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، فالنفوس كلها تحبه، وتقدره وتعرف مكانته ومنزلته.

والدليل الآخر أن العبد كلما زاد عبادةً وطاعةً وانقيادًا لله– تعالى– ولرسوله واتباع السنة وتحقيق العبودية ما جاء في الحديث القدسي: «قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَّ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»

فالمقصود أن الله– تعالى– نوع للعباد العبادات لترتفع درجاتهم ويعلو شأنهم في الدنيا والآخرة، بل تطمئن نفوسهم وتنشرح صدورهم ويجد لذة السعادة، ولهذا يقول العلماء: **" لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما بنا من سعادة لجالدونا عليها بالسيوف"**.

عند الناس، في مقاييس الناس أن السعادة في المال والجاه ومناصب الدنيا وكثرة العَرَضِ وكثرة البيوت والقصور، ولكنها مقاييس غير صحيحة؛ السعادة سعادة القلب وانشراح الصدر

وقوة العلم وقوة الإيمان، ولهذا يقول النبي -ﷺ- : «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

من رحمة الله بعباده أن شرع لهم هذه العبادات ونوعها لهم حتى لا يملَّ العبدُ على نوع واحد من أنواع العبادات، فإن النفس إذا استمرت على شيء ملَّت به أصابها الملل منه، ولهذا من حكمة الله ورحمته بعباده أن نَوَّع العبادات؛ فمن صلاة ومن زكاة ومن حج ومن صيام والصلاة متنوعة وهكذا، ليتقرب العبد إلى ربه وينشط من عبادة إلى عبادة من ذلكم هذا الشهر الفضيل الذي من الله بفرضيته على العباد، جعل له الأجور العظام وادخر الله أجره عنده - سبحانه وتعالى- وخصَّهُ عنده لينال العبد الأجور العظام التي لا حد لها؛ والصوم لي وأنا أجزي به، «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

جعل الله -عز وجل- بابًا خاصًّا يسمى باب الريان للصائمين لا يدخله غيرهم، فهذا مِنَّةٌ من الله -عز وجل- وفي رمضان نوع الله العبادات من صيام وقيام إلى غير ذلك.

ولهذا من فقه العبد ومن دلالة الخير له وأن الله يريد به الخير أن تجده مسارعًا منافسًا إلى فعل الخيرات في هذا الشهر، ولو نظرت إلى حال الناس لوجدت أن الناس كثيرٌ منهم مغبون في هذا الشهر منقوص فقلَّ من يُدرك هذه الأعمال الصالحات ويُسارع لها، كثير من الناس إلا من رحم الله -وقليل ما هم- حده من الصيام أن يمسك عن الطعام والشراب، وما سوى ذلك فلا يسارع ولا يسابق.

الله -عز وجل- شرع كثيرًا من العبادات والنبي- صلى الله عليه وسلم- حثَّ على ذلك بقوله وفعله، وأخص هذه الأيام وأعظمها منزلة العشر الأواخر، فإن فيها من الأعمال ما كان الرسول -ﷺ- يجتهد فيها، فقد حث النبي -ﷺ- على فعل الخيرات وعظم الله -عز وجل- هذه الأيام الجليلات سواء عموم رمضان أو الأيام العشر من تعظيم الله –عزَّ وجل – لهذه الأيام الجليلات أنَّ الله فرض الصوم على العباد في هذا الشهر في رمضان، وأنَّ الله أوجبه على العباد ورتَّب عليه ثمرةً عظيمةً يترتبُ عليها سعادة الدنيا والآخرة وهي حصول التَّقوى فقال- عزَّ وجل- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة: ١٨٣

إذا رأيت نفسك يا عبد الله قد تغيَّر حالُك في رمضان وبعد رمضان عما سبق من حالك عما قبل رمضان فاعلم أنك قد تحصلت على هذه الثمرة، فإن كنت مُقصرًا في الواجبات والفرائض وتغير حالُك في رمضان فاعلم أنك قد تحصلت على التقوى التي هي ثمرة الصيام.

إذا رأيت من نفسك قبل رمضان فعلًا لبعض المعاصي والمنكرات وتغير حالُك بعد رمضان فاعلم أنك قد تحصلت على جائزة رمضان جائزة الصوم وهي التقوى، التي إن وجدت في قلب العبد كانت دافعةً له على فعل الطاعات وترك المنَّاهي والمعصيات، أما إذا كان حالُك في رمضان وبعد رمضان كما هو حالك في قبل رمضان فاعلم أنَّ صومك كان مجرد عن الطعام وعن الشراب، وهذه هي المصيبة، هذه هي المصيبة التي ليبكي المرء على حاله أنه جاءه رمضان وخرج رمضان ولم يتحصل على ثمرة رمضان وجائزة رمضان.

بل إنَّ الله -عزَّ وجل- ذكر آيةً خطيرةً مقياس للعبد لحاله آية تخوف يقول الله -عزَّ وجل- في سورة التوبة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ التوبة: ٤٦ آية عظيمة.

ذكر الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– أنها آية خطيرة جدًّا، ميزان للعبد؛ إذا رأيت من نفسك الناس يتسابقون على فعل الطاعات، وعلى القيام والتراويح والدُّعاء، وعلى السُّنة والعمل بها وعلى الإقبال على الله–عزَّ وجل –، وترى في نفسك إحباطًا أو كسلًا عن فعل ذلك فاعلم أنَّ الله لم يُرد لك خيرًا، وأنَّ الله ثبَّطك؛ لأنَّ الله كره عملك لما يعلم في قلبك، آية خطيرة ميزان لحالك إذا رأيت من نفسك يا عبد الله إقبالًا على الإيمان وإقبالًا على الطاعات وإقبالًا على ما يُرضي الله وإقبالًا على اتِّباع السُّنة والعمل بها فاعلم أنَّ الله أراد لك الخير، وإما إذا ترى من نفسك تكاسُلًا وضعف همَّةٍ لفعل الطَّاعات والناس يتسابقون ويتنافسون على فعل الخيرات فاعلم أنَّ الله كره انبعاثك، وأن الله كره منك العمل، وهذه الآية خطيرة جدًا خطيرة ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ التوبة: ٤٦

لأن العبادة شرف والجهاد شرف وطلب العلم شرف والإقبال على السنة والتمسك بها شرف؛ فإذا رأيت من نفسك ما وجدت من نفسك إقبالًا ومسارعة ومنافسة؛ فاعلم أن الله ثبطك عن ذلك – والعياذ بالله –.

وقس نفسك في رمضان وهو أدق ميزان على وجه الأرض، وفي حياتك كلها؛ لأنه تجتمع فيها كثير من الطاعات وكثير من الأمور التي تريد معالجة نفس ومصابرة ومجاهدة، فإن رأيت من نفسك تكاسلًا وعدم استغلالٍ لأوقات من نهارٍ أو ليلٍ من رمضان، فهذا الأمر خطير جدًا.

هذه العشر، حثَّ النبيُّ -ﷺ- على فعلها وعلى تدارك ذلك، وعظّم الله – عز وجل – لياليها، من ذلكم مما يدل على أنها معظمة عند الله، أن الله جعل إنزال القرآن العظيم في رمضان وبالأخص في أحد الليالي العشر الأواخر، فقال – عز وجل -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال أيضًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ القدر: ١ أي القرآن.

ومن تعظيم الله لهذه الليالي، أن الله جعل فيها ليلةً هي خيرٌ من ألف شهر، حيث هذا من رحمة الله بالأمة الإسلامية، أنه لما قصُرت أعمارهم بعكس الأمم الماضية أعمارهم بمئات السنين، ولكن الأمة أعمارها ما بين الستين والسبعين كما قال النبي -ﷺ- على الغالب، قد يزيد شيئًا من السنين وقد ينقص، ولكن الغالب ما بين الستين والسبعين كما قال النبي -ﷺ- ، فعوض الله قصر الأعمار بكثرة الطاعات والأجور، وهذا أن للأمة الإسلامية مكانة عند الله – عز وجل -.

ومن مكانتها أنهم هم الآخرون في الدنيا الأولون في الآخرة؛ فأول من يدخل الجنة أمة محمد -ﷺ- ، وجعل الله العمل في ليلة القدر يُضاعف على ثلاث وثمانين سنة وأشهر ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ القدر: ٣ يعني العمل فيها يُضاعف أجره على عمل ثلاث وثمانين سنة، وهذا من فضل الله – عز وجل – للأمة،

ولهذا كان السلف يحرصون على ليلة القدر، كان النبي -ﷺ- أيضًا يحرص عليها كـما سـيأتي ذكر حاله وأقواله.

من تعظيم الله للعشر، أن الله يأمر جبريل - عليه السلام - وجميع ملائكة السماوات السـبع في النزول إلى الأرض ليلة القدر، كم عدد الملائكة الذين ينزلـون في الأرض، ألـف، ألفـين، ثلاثـة آلاف ملك، أربع آلاف ملك، خمس آلاف، مليون، مليونين، عشر ملايين، مليـار؟ اسـمعوا مـا قال الله وقال نبيه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ القدر: ١ - ٥

أورد الإمام ابن خزيمة في حديثٍ وحسنه ابن حجر والألباني أن النبي -ﷺ- قـال: «تنـزل الملائكة في ليلة القدر إلى فجرها» أو كما قال النبي -ﷺ- «الْمَلائِكَةُ لَيْلَـةَ الْقَـدْرِ فِي الأَرْضِ أَكْثَـرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى» الحديث رواه ابن خزيمة وحسنه ابن حجر وحسنه الألباني.

« أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى» والملائكة كم أعدادهم ؟؟

ثبت في الصحيح أن البيت المعمور منذ خلقه الله - عز وجل - يطوف كل يوم حوله سبعون ألف ملك ثم لا يعودون له مرة أخرى، منذ خلق الله السماوات والأرض كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون مرة أخرى،

وهذا تنبيه للمؤمنين وللمسلمين، أنهم لو عادوا إلى الله -عز وجل – عادوا عودة صادقة وتابوا إلى الله من المعاصي لينصرنّهم الله على أعدائهم بجنده التي لا نعلمها، هذا العدد الهائل

من الملائكة، الآن الناس يصيبهم الهلع والخوف مما تملكه اليهود وإسرائيل وأمريكا وروسيا من الرءوس النووية والأسلحة الفتّاكة والطيارات، ولكن نسوا أن الله أقوى من كل شيء، وأن جبريل وحده قد رآه النبي -ﷺ- في صورته الحقيقية وله ستمائة ألف جناح قد سد الأفق، ولما أوذي النبي-ﷺ- أرسل الله له ملك الجبال، وقال له: «وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُطِيعُكَ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَعَلْتُ»، «الأَخْشَبَيْنِ » أكبر جبلي مكة، ملك واحد يطبق عليهم .

فهذا العدد الهائل يتنافسون على الطاعات وهم غير مكلفين؛ فإن المكلفين بالعبادة صنفان الجن والإنس، وأما الملائكة فليسوا بمكلفين تكليف يحاسبون، وإنما خلقوا للطاعة المحضة، وإبليس وذريته خلقوا للمعصية المحضة ليفتن الله بهم العباد، وأما المكلفون من العباد فهم الإنس والجن، الذين يحاسبون ومكلفون بطاعة الله ورسوله والدخول في الإسلام وإما أن يرحمهم فيدخلون الجنة بعملهم بعد رحمة الله أو يعذبهم.

فهذه النصوص كلها تدل على تعظيم هذه الليالي عند الله –سبحانه وتعالى-، من تعظيم الله –عز وجل- أن مراتب القدر مما يُكتب على العباد في أنواع المقادير أربعة:

النوع الأول: التقدير العام؛ وهو ما يكتب في اللوح المحفوظ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّي ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» .

التقدير الثاني: التقدير العمري؛ وهو عندما يكون الإنسان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يأتي الملك ويُؤمر بأن يكتب شقي أو سعيد وأجله وعمله ورزقه وهذا هو التقدير العمري.

التقدير الثالث: التقدير السنوي، وهو ما يكتب في ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ القدر: ١ سميت الليلة هذه ليلة القدر، يقول العلماء: لأحد أمرين؛ إما لقدرها وشرفها ومكانتها، أو لما يُكتب فيها من تقادير العام؛ يحيي هذا، يذل هذا، يعز هذا، التقدير العام كله من رمضان إلى رمضان القادم يكتبه الله في ليلة القدر يأمر بكتابته ويقدّره الله –عز وجل–.

التقدير الرابع: التقدير اليومي كما قال –عز وجل: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ الرحمن: ٢٩ يحيي هذا، ويميت هذا، ويعز هذا، ويذل هذا، ويغني هذا، ويفقر هذا، ويشفي هذا، ويمرض هذا، فمن تعظيم الله للعشر الأواخر أن جعل في أحد لياليها ما يكتب في ليلة القدر.

فكل ذلك إخواني يدل على عِظَمِ هذه الأيام عند الله –سبحانه و تعالى– فينبغي لنا أن نعظمها كما يعظمها الله –عز وجل– وكما يعظمها جبريل والملائكة وكما يعظمها النبي –ﷺ– .

كان النبي – كما جاء في الصحيحين من حديث عائشة– : «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ –أي العشر الأواخر– شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ»، أمورٌ ثلاثة يعملها النبي –ﷺ– مما يدل على حرصه على عبادة ربه وتعظيم هذه الأيام :

الأولى: شد المئزر، والمراد بشد المئزر إما قوة الاجتهاد في العبادة أكثر مما مضى، أو كناية عن اعتزال النساء باعتكافه وبعده عن النساء، لينشغل بعبادة ربه ويبتعد عن ملذات الدنيا وشهواتها.

الثانية: أحيا ليله بالقيام، وليس المراد بأن الليل كله يحييه بقيام ولكن يشمل الصلاة ، الذكر، الاستغفار، الدعاء، إلى غير ذلك وقد ورد عن عائشة أن النبي -ﷺ- لم يثبت أنه قام ليلة كاملة، فالمراد أحيا ليله أي أغلب الليل أو يحييه كله بالذكر سواء بصلاة أو بدعاء أو بتسبيح أو باستغفار كما قال- تعالى- عن المؤمنين : ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ الذاريات: ١٨

وكان ابن عباس أو ابن عمر إذا بقي من الليل إذا بقي شيء من الليل بدأ يستغفر أوتر فاستغفر، فوقت السحر وقت استغفار ولذلك كثير من الناس يغفل عند سحوره أن يكثر من الاستغفار، أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله؛ لأن هذا لوقت وقت استغفار ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ الذاريات: ١٨.

وجاء عند عائشة أيضًا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» من اجتهاده- ﷺ- في رمضان اعتكافه، فقد كان يعتكف -ﷺ- في العشر الأواخر، والمراد بالاعتكاف الاعتزال وخلوة الإنسان بينه وبين ربه محاسبًا لنفسه، مكثرًا لطاعة ربه منشغلًا بالقرآن وبالدعاء وبمحاسبة نفسه، أعظم ما يوفق الله العبد في حياته أن يحاسب نفسه.

كثير منا يغفل عن هذه المسألة تجده على منوال حياته يصلي يصوم ينام يقعد يداوم يروح الاستراحة يسير ينتقل لفلان وفلان، لكنه هذه النقطة المهمة وهي محاسبة النفس اليومية قلَّ من يفعله.

ينبغي للمسلم أن يكون محاسبته لنفسه وعمله وقوله أشد من محاسبة التاجر وتفقده لما يدخل عليه من مال ويخرج من مال والصادر والوارد، فإن كان التاجر خسارته تترتب عليه خسارة دنيوية فأنت يا عبد الله إذا لم تحاسب نفسك قد تخسر الدنيا والآخرة.

فمن ثمار الاعتكاف محاسبة النفس الخلوة، وجاء عند مسند أحمد : «كان النبيُّ صلى الله عليه وسلّم يَخْلِطُ العِشْرين بصلاةٍ ونومٍ» – يعني العشرين الأول من رمضان- «فإذا كان العشرُ»- يعني الأخير- « شمَّر وشدَّ المِئزرَ».

اجْتَهد في العبادة، ليتحرى؛ أولًا ليلة القدر، والنبي -ﷺ- قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه»

إيمانًا: أي: تصديقًا بها وبما جاءت به من الأخبار، واحتسابًا: أي: ابتغاءَ الأجر، فيَحرِص على الدعاء، ويَحرص أن يُوَفق لها،

عائشة –رضي الله عنها- تسأل النبي -ﷺ-: «مَاذا أَقُولُ إذا وُفِّقْتُ في لَيْلَةَ القَدْرِ؟ فَقَال: قُولي اللّهم إنَكَ عَفُوٌ تُحِبَ العَفْوَ فَاعْفُ عَنّي» ولينتبه بعض الناس يضيف كلمة كريم، فإنها ضعفها

أهل العِلم، بعض الناس يقول: "اللهم إنك عفوٌ كريم تحب العفو"، وَرَدَت في طريق الضعيف، ضعَّفه أهل العلم، والصحيح «اللَّهم إنَكَ عَفُوٌ تُحِبَ العَفْوَ فَاعْفُ عَنّا» أو «فاعفُ عني».

فالمقصود يا إخواني أن الرسول -ﷺ- كان يحثُ على هذا الأمر، وقوله: «أَيْقَظَ أَهْلَهُ» أي: يُوْقِظ أَهْلَهُ، أي: نساءَهُ ليُصلِّينَ، ويتحَرَيْنَ ليلة القدر، فينبغي للمسلم أن يفعل ذلك كله مع نسائه وأهل بيته وأولاده.

تخيل لو أن تاجرًا أو حاكِمًا أو ملكًا قال إنني سآتي وأُخَيِّم في أطراف حَفْر الباطن، وكل من يأتيني في الساعة الثالثة فجرًا؛ فكل شخص، من كبير أو صغير، ذكر وأنثى، أُعْطيه عشرة آلاف ريال، يا تَرى هل يَتَخَلَّف أحد؟ الأغنياء قبل الفقراء يتسابقون، فكيف برب العالمين الكريم، يَنْزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: «مَنْ يَدْعوني فَأَسْتَجِيب لَه؟ مَنْ يَسْأَلُني فَأُعطِيَه؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَه؟ وذلك الدَّهْرَ كُلَّه»، كل ما تريد من مَطْلَب يُعطيك إياها الله -عز وجل- لأن هذا وعد، والله لا يُخلف الميعاد، فمن منَّا يَلجأ إلى الله؟!

وهذه الليالي هي ليالٍ شريفات، عظيمات، يُستَجاب فيها الدعاء، كم يُعتَق فيها من النيران! فينبغي للمسلم أن يحرص على ذلك.

يقول ابن رجب، يعني مما يَحصُل في هذه الليالي، أو من الأعمال التي فيها، قال: "ومنها أنه -ﷺ- كان يُوقِظ أهلَه للصلاةِ في ليالي العَشْرِ دونَ غيرها" **قال:** "وهذا يَدُلُ على أنه يُتَأكد إيقاظُهم في، يعني آكَد الأوتار، التي تُرجى فيها ليلة القدر". يعني يُوقظ الإنسان أهله، ويحرص

على الوتر من أيام العشر، لماذا؟ لأن الرسول - ﷺ- قال عن ليلة القدر: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ» وفي حديث: «الْتَمِسوها في الوِتْرِ مِن العَشْرِ الأَواخِرِ»

وفي حديث: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى »

وفي حديث: «الْتَمسوها في لَيْلَةِ السَّابِعَةَ والعِشْرين» أو كما قال النبي - ﷺ- .

يقول العُلماء: " الراجح والصحيح أن الله أخفَى أمرَها ليجتَهد الناس في العبادة، وأنها تنتقل" يعني لا تكون كل سنة في ليلة واحدة، ولكن أَحْرى الليالي أن تكون في ليلة سبعة وعشرين، ولكن قد تكون في غيرها، بل رُبما تكون في الشفع من العشر الأواخر، وبعض الناس يتساهل في ليالي الشفع فيصلي في ليلة الحادي والعشرين، ليلة الثالث والعشرين، ليلة الخامس والعشرين، ليلة السابع والعشرين، ليلة التاسع والعشرين، الليالي الشفع يتركها وهذا خطأ ، خطأ من جهتين:

أولًا: الحديث جاء « الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ» ، ورجح أهل العلم أنها تنتقل ، وأنها قد تكون في الليالي الشفع .

الأمر الثاني: قد نحن نكون أخطأنا في بداية دخول الشهر، فيكون في الحقيقة التي نظن أنها ليالي الوتر هي شفع ، فلذلك الأولى بالمسلم أن يصلي الليالي العشر كلها .

فالمقصود إخواني أنه ينبغي للمسلم أن يتسارع في هذه الليالي، وكان السلف - رضوان الله عليهم - يحرصون عليها ويُعظمونها أشدَّ التعظيم، ومن تعظيمهم لهذه الليالي أنه ورد عن السلف أنهم كانوا يغتسلون كل ليلة، ويتزينون كل ليلة من ليالي العشر الأواخر ، قال ابن جرير:

" كانوا يستحبون أن يغتسلوا - أي السلف - كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، و روي عن أنس: " أنه إذا كان ليلةُ أربع وعشرين اغتسل وتطيَّب، ولبس حُلَّةً وإزارًا ورداءً، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل ".

وقال حمَّادُ بن سلمةَ:" كان ثابتٌ وحميدٌ يلبسان أحسن ثيابَهما أو ثيابِهما، ويتطيبان، ويُطيبان المسجد بالنضوح والدُّخنة - نوع من أنواع الطيب -، في اللِّيلة التي تُرجى فيها ليلة القدر".

قال ابن رجب : "فيُستحبُّ في الليالي التي تُرجى فيها ليلةُ القدر التنظُّفُ، والتطيُّبُ، والتزيُّن بالغُسل والطيب، واللباس الحسن، كما شُرع ذلك في الجُمع والأعياد، وكذلك يُشرعُ أخذُ الزينة بالثياب، في سائر الصلوات، كما قال- تعالى-:﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾الأعراف: ٣١ وقال ابن عمر: "الله أحق أن يتزين له " .

قال ابن رجب : وهو تنبيه مهم جدًا جدًا والمراد ببيانه وسيأتي؛ أن المراد أن المسلم كما أنه يتطيب ويتزين باللباس الظاهر فعليه أن يتطيب ويُزين الباطن، ويُصلح قلبه ويتوب من الذنوب، ويُبعد عن قلبه الأمراض.

قال – رحمه الله – : "ولا يكمل التزين الظاهر إلا بتزيين الباطن، بالإنابةِ والتوبةِ وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها، فإنَّ زينةَ الظاهر مع خراب الباطن لا تُغني شيئًا".

إذا المرءُ لم يلبس ثيابًا من التقى ۞۞۞ تقلّب عُريانا وإن كان كاسيا.

فزينة المرء التقوى، تقوى الله المبنيةُ على الإخلاص الصادق، والتوحيد الخالص ، والاتباع الصحيح للنبي – ﷺ – ، وتطهير القلبِ من أمراض القلوب .

قال : "والله- سبحانه- لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنَّما ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه، فليُزين ظاهره باللباس، وباطنه بلباس التقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ الأعراف: ٢٦.

فهذه كلمات أحببتُ أن أنبه نفسي أولًا ثُم أنتم إخواني إلى أهميةِ استغلالِ هذه الأيام العظيمات الجليلات، وإن من مقتضى شكر الله وحمدِهِ الذي منَّ علينا بالصيامِ والقيام في حين كثير من الناس لم يوفقوا إلى ذلك، إما بكفرٍ وجحود أو بفسقٍ وعصيان، نسأل الله السلامة .

فمن مقتضى شُكر الله أن وهبك ذلك وهداك إلى ذلك ، أن تُقبل على الله وتُسارع وتُنافس الآخرين، نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يوفقني وإياكم إلى استغلال هذه الأيام الجليلات وأن يرحمنا، و أن يتوب علينا، وأن يُعيننا على ذكره وشُكره وحُسن عبادته، وأن يجعلنا وإياكم ووالدينا ووالد المسلمين وأرحامنا وأقاربنا وعُلمائنا الأحياء منهم والأموات من عُتقائه من

النار، ونسأل الله أن يوفق المسلمين عُموما وولاة أمرهم خصوصًا إلى ما فيه عز للإسلام والمسلمين .

والله الموفق وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.